الأخلاق الإلهية

ميثم العقيلي

مقدمة

الأخلاق الإلهية هي عبارة عن مجموعة من التعاملات والكيفيات التي يتعامل بها الحق تعالى مع الخلق من خلال صفاته الكمالية والجلالية والجمالية.

ثم إن هناك فرقا فارقا بين الأخلاق الإلهية والأخلاق الإنسانية من وجوه كثيرة ومنها ثلاثة:

1- أن الإنسان المتناهي مهما بلغ في أخلاقه الإنسانية فلا يمكن أن يصل إلى الكمالات والأخلاق الإلهية اللامتناهية.

2- أن الإنسان كلما صار أكمل صفةً من صفات الأخلاق الإنسانية صار أقرب تخلقاً بالأخلاق الإلهية.

3- أن صيرورة الإنسان متقرباً ومتخلقاً بأخلاق الله تعالى مرتبطة بحصول التوفيق والتسديد الإلهي الذي لا تنقص خزائنه, فإنه تعالى هو المفيض على مخلوقاته بالخير والعطاء, ولا يريد من ذلك العطاء الا كمال الخلق, فهو الغني المطلق وغيره فقير مطلق.

وكيف كان فإن ذكر هذه الأخلاق الإلهية المختارة هنا يعتمد على استعراض ما ورد من الآيات القرآنية والأخبار السنتية والقدسية التي ذكر فيها الخلق الإلهي في ضوء عناوين أخلاقية وملكات نفسانية عامة يتم عرضها قبل استعراض الآيات والروايات مع تضمين ما ورد في الآيات والروايات بشيء من البيان بمقدار الإمكان ليحصل المطلوب.

النية

وهي ملكة انبعاث النفس وميلها وتوجهها إلى ما فيه غرضها ومطلبها. وأما الغفلة فهي ضد النية بمعنى ملكة فتور النفس عن الالتفات والتوجه إلى ما فيه غرضها ومطلبها. وأما الصدق في النية فهو من أقسام الصدق. وأما الكذب في النية فهو من أقسام الكذب.

- قوله تعالى: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) [1].

فهنا ورد في تفسير هذه الآية الكريمة قول الإمام الصادق عليه السلام: وإنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله تعالى أبدا، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة

[1] الإسراء 84.

لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبدا، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: (قل كل يعمل على شاكلته). قال: على نيته [2].

هذه الرواية دالة على أن الله تعالى يعاملنا بحسب نوايانا وأن النية روح العمل, وإنما الحساب والجزاء يكون بحسب النية, فإن خلود أهل النار في النار, وخلود أهل الجنة في الجنة بحسب دوام واستمرار نياتهم سلباً من طرف المعصية وإيجابا من طرف الطاعة.

– قول الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا): ليس يعني أكثركم عملا ولكن أصوبكم عملا. وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة. ثم قال: الايفاء على العمل حتى يخلص أشـــد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عز وجل، والنية أفضـــل من العمل، ألا وإن النية هي العمل. ثم تلا قوله عز وجل: (قل كل يعمل على شاكلته) يعني على نيته [3].

قبول العمل مشروط بالنية الصادقة والعمل المخلص لله تعالى.

– قال صلى الله عليه وآله وسلم: إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختتمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول: ألقوا هذه الصـــحيفة، فإنه لم يرد بما فيها وجهي، ثم ينادي الملائكة: اكتبوا له كذا وكذا، فيقولون: يا ربنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك ؟ فيقول الله تعالى: إنه نواه [4].

الأعمال غير المخلصة غير مقبولة بينما النوايا المخلصة مقبولة باعتبار ما تقدم من أن قبول العمل مشروط بصدق النية وإخلاص العمل لله تعالى.

– قال صـــلى الله عليه وآله وســـلم: إن الله لا ينظر إلى صـــوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وإنما ينظر إلى القلوب لأنها مظنة النية [5].

القلوب ظروف ومحال النوايا وهي مواضع تجلي النظر والرعاية الإلهية.

– قال الإمام الصـــادق عليه الســـلام: إن العبد المؤمن الفقير ليقول: يا رب أرزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير، فإذا علم الله عز وجل ذلك منه بصـــدق النية كتب له من الأجر مثلما يكتب له لو عمله، إن الله واسع كريم [6].

---

[2] أصول الكافي: ج 2 ص 85 .

[3] بحار الأنوار: ج 72 ص 304 .

[4] إحياء العلوم: 4 / 310.

[5] إحياء العلوم: 4 / 312.

[6] إحياء العلوم: 4 / 312.

هذا من الآثار المترتبة على وهو كرم الله تعالى الواسع وسخائه الساطع بتفصيل آت في خلق الكرم والسخاء.

حب الله لعبده وحب العبد لله

الحب هو ميل الطبع إلى الشيء الملذ. وأما الكراهة فهي ضد الحب وهي نفرة الطبع عما لا يخلو عن إيلام وأتعاب. وأما العشق فهو قوة ميل الطبع إلى الشيء الملذ. وأما المقت فهو قوة نفرة الطبع عما لا يخلو عن إيلام وأتعاب. كما أن مقتضى المبادلة بين هذين الحبين – حب الله لعبده وحب العبد لله – من باب العدل ولكن باطنه الرحمة واللطف الإلهي باعتبار أن حب الله تعالى ابتدائي وحقيقي وغير متناهي.

– قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [7].

فهنا العبد المتطهر حبيب الله والعبد التائب حبيب الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

– قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) [8].

محبة الله تعالى معلقة ومشروطة بإتباع رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

– قوله تعالى: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [9].

محبة الله لعبده تجتمع مع محبة العبد لله.

– قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [10].

محبة العبد المؤمن لله سبحانه أشد من محبة غير المؤمن.

– قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [11].

ينبغي أن يكون حب هذه المذكورات من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة ليس بأحب للناس من محبة الله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله تعالى.

---

[7] البقرة 222.

[8] آل عمران 31.

[9] المائدة 54.

[10] البقرة 165.

[11] التوبة 24.

– قال موسى عليه السلام في بعض مناجاته: إلهي من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك ؟ فقال: كل فقير [12].

الفقير حبيب الله.

– في الخبر المشهور: إن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلا يميت خليله ؟ فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه ؟ فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض [13].

إن صدور هذا الاستفهام – هل رأيت خليلا يميت خليله ؟ – من خليل الله إبراهيم عليه السلام من باب ما يسمونه بمقام انبساط الأنس الذي وصل اليه هذا النبي فلو صدر مثل هذا الاستفهام من غير الواصل لهذا المقام لعدت من سوء الأدب أو الذنب الدقي غير المنافي لعصمة وطهارة الأنبياء ولكن انظر الى خلق الله تعالى المتمثل بجوابه: هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه ؟.

هذا مع أن كراهة العبد للموت لها مبررات وأسباب جميعها غير صحيحة كالنظر الى الموت باعتباره نقص أو فناء تام أو عذاب شديد وغير ذلك. والحق الحقيق أن الموت كمال من الكمالات التي قدرها الله تعالى لمخلوقاته من أجل تكامل وسعادة هذه المخلوقات.

– أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا ابن عمران كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه، ها أنا ذا يا ابن عمران مطلع على أحبائي، إذا جنهم الليل حولت أبصارهم إلي من قلوبهم، ومثلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور، يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع في ظلم الليل، فإنك تجدني قريبا [14].

– مناجاة (برخ الأسود) الذي أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسقي لبني إسرائيل، بعد أن قحطوا سبع سنين، وخرج موسى في سبعين ألفا، فأوحى الله عز وجل إليه: كيف استجيب لهم وقد أظلت عليهم ذنوبهم ؟ سرائرهم خبيثة، يدعونني على غير يقين، ويأمنون مكري، إرجع إلى عبد من عبادي يقال له (برخ) فقل له: يخرج حتى أستجيب له. فسأل عنه موسى، فلم يعرف، فبينما موسى ذات يوم يمشي في طريق، إذا بعبد أسود قد استقبله، بين عينيه تراب من أثر السجود، في شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى بنور الله عز وجل، فسلم عليه وقال له: ما اسمك ؟ فقال: اسمي برخ، قال: فأنت طلبتنا منذ حين، أخرج فاستسقي لنا، فخرج، فقال في

---

[12] التوحيد: 255.

[13] تنبيه الخواطر: 223.

[14] أمالي الصدوق: 164 / 1.

كلامه: ما هذا من فعالك، ولا هذا من حلمك، وما الذي بدا لك ؟ أتعصت عليك غيومك ؟ أم عاندت الرياح عن طاعتك ؟ أم نفذ ما عندك ؟ أم اشتد غضبك على المذنبين ؟ ألست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين ؟ خلقت الرحمة وأمرت بالعفو، أم ترينا أنك ممتنع ؟ أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة ؟!. قال: فما برح حتى اخضل بني إسرائيل بالمطر، وأنبت الله عز وجل العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب. ثم رجع (برخ) فاستقبله موسى فقال: كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفني ؟! فهم به موسى فأوحى الله إليه: إن برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات [15].

إن صدور مثل هذه الاستفهامات من برخ الأسود كما في قوله: هذا من فعالك.. من باب مقام انبساط الأنس المتقدم حتى وإن لم يكن رخا نبيا فإن باب العطاء الإلهي مفتوح لجميع المخلوقات بمقتضى الاستحقاق والاستعداد.

– روي: أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال: حق على الله أن يؤمن الخائف. ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى، فإذا هم أشد نحولا وتغيرا، فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون. ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى، فإذا هم أشد نحولا وتغيرا، كأن على وجوههم المرايا من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا: حب الله عز وجل، فقال: أنتم المقربون [16].

وفي بعض الروايات: إن عيسى عليه السلام قال للطائفتين الأوليين: مخلوقا خفتم، ومخلوقا رجوتم. وقال للطائفة الثالثة: أنتم أولياء الله حقا، معكم أمرت أن أقيم [17].

– قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن شعيبا عليه السلام بكى من حب الله عز وجل حتى عمى، فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمى، فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب إلى متى يكون هذا أبدا منك، إن يكن هذا خوفا من النار أجرتك، وإن يكن شوقا إلى الجنة فقد أبحتك. فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفا من نارك، ولا شوقا إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي، فلست أصبر أو أراك. فأوحى الله: أما إذا كان هذا هكذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران [18].

---

[15] تزكية النفس للحسيني ص230.

[16] معرفة النفس للصفار ص159.

[17] جامع السعادات ج2 ص123.

[18] مصباح الشريعة باب 97 ص 193.

إن حب شعيب عليه السلام لله تعالى قد لاقاه حب الله تعالى لشعيب والجزاء المترتب لهذا الحب هو خدمة كليم الله موسى عليه السلام لشعيب في القصة المعروفة المشار إليها في قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) [19].

– قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا أحب الله عبدا من أمتي قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكان عرشه محبته ليحبوه، فذلك المحب حقا, طوبى له ثم طوبى له, وله عند الله شفاعة يوم القيامة) [20].

من مقامات ومراتب الجزاء المترتبة على حب الله تعالى للعبد مرتبتان:

الأولى: أن يقذف محبة ذلك العبد في قلوب سائر العباد, بل يكون ذلك المحب.

والثانية: أن يكون ذلك العبد المحب شفيعا لغيره في يوم القيامة.

– قال صلى الله عليه وآله وسلم حاكيا عن الله: (لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به) [21].

من مراتب الجزاء المترتبة على حب الله تعالى للعبد بعد ممارسة العبد لمجموعة من النوافل القربات المستحبة أن تكون حواس ذلك العبد حواسا ذات قدرة إلهية ومن هذه الحواس ثلاث:

الأولى: حاسة السمع المتمثلة الإذن.

والثانية: حاسة البصر المتمثلة بالعين.

والثالثة: حاسة الذوق أو النطق المتمثلة باللسان.

– روي: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما أعددت لها ؟ قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله، فقال له النبي: المرء مع من أحب [22].

من مراتب الجزاء المترتبة على حب الله تعالى للعبد أن يحشر العبد المحب مع محبوبه.

– روي أن مصعب بن عمير وهو احد المؤمنين الذين تربوا على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان فتى مترفاً في بيت مرفه يصفه رسول الله: ما رأيت بمكة احسن لمة، ولا أرق حلقة، ولا انعم من مصعب بن عمير. فهنا بعد أن رأى رسول الله مصعباً وعليه جلد كبش من اثر الحرمان في

---

[19] القصص 27.

[20] نفس المصدر السابق.

[21] نفس المصدر السابق.

[22] نفس المصدر السابق.

الله ومن اجل الله تعالى فقال: (انظروا الى هذا الذي نوّر الله قلبه، لقد رأيته بين ابوين يغذوانه بأطيب الطعام، والشراب، ولقد رأيت عليه حلة (ثوباً) شراها بمائتي درهم، فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون) [23].

– ورد في أخبار داود عليه السلام: (قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي: ما ضركم إذا احتجبتم عن خلقي إذ رفعت الحجاب بيني وبينكم حتى تنظروا إلي بعيون قلوبكم، وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا إذ بسطت ديني لكم، وما ضركم مسخطة الخلق إذ التمستم رضاي) [24].

من مراتب الجزاء المترتبة على حب الله تعالى للعبد ثلاثة نفيا وإثباتا:

الأولى: نفيا أن يحتجب المحب عن الخلق بأن يكون المحب منعزلا ومنزويا عن الخلق, وإثباتا أن يكون المحب متصلا ومشغولا ومتنعما بالنظر بعين القلب الى الخالق.

والثانية: نفيا أن يحرم المحب من لذات الدنيا وشهواتها, وإثباتا أن يكتسب المحب التفقه ومعرفة الأحكام الدينية.

والثالثة: نفيا أن يسخط الخلق من المحب بأن يكون المحب منبوذا ومكروها عند الخلق, وإثباتا أن يكسب المحب رضا الخالق والإنس بقربه.

– ورد في أخبار داود عليه السلام إن الله عز وجل أوحى إليه: يا داود أبلغ أهل أرضي إني حبيب لمن أحبني، وجليس لمن جالسني، ومؤنس لمن أنس بذكري. وصاحب لمن صاحبني، ومختار لمن اختاربي، ومطيع لمن أطاعني، ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسي، وأحببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها، وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي، وآنسوا بي أوانسكم، وأسارع إلى محبتكم [25].

إن هذا البلاغ الداودي قد احتوى على عدة مضامين أخلاقية قد تعامل بها الله تعالى معنا فإن مقتضى المحبة والمجالسة والمؤانسة والمصاحبة والمختارة والإطاعة وإن كان فاعلها العبد ولكن الله تعالى هو الذي أفاضها وأنعمها بفضله ولطفه على عبده ومع ذلك فإنه سبحانه يثيب عبده بافاضات ورحمات بشرط التخلي عن الدنيا والإقبال على محبة الله تعالى.

– ورد في أخبار داود عليه السلام: أن داود عليه السلام سئل ربه أن يريه بعض أهل محبته، فقال له: ائت جبل لبنان فإن فيه أربعة عشر نفسا، فيهم شبان وكهول ومشايخ، وإذا أتيتهم فاقرأهم مني

---

[23] نظرات حول الاعداد الروحي 165.

[24] جامع السعادات ج1 ص122.

[25] نفس المصدر السابق.

السلام، وقل لهم: يقول ربكم لا تسألوني حاجة، فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي، أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم. فأتاهم داود فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله وملكوته، فلما نظروا إلى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال لهم داود: أنا رسول الله إليكم، جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم. فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله، وألقوا أبصارهم إلى الأرض، فقال داود: ربكم يقرؤكم السلام ويقول لكم: ألا تسألوني حاجة، ألا تنادوني فأسمع صوتكم وكلامكم ؟ فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي، أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم، وانظر إليكم في كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة. ولما قال داود ذلك جرت الدموع على خدودهم, وسبح الله كل واحد منهم ومجده، وناجاه بكلمات تدل على احتراق قلوبهم من الحب والشوق [26].

هنا قد استجاب ربنا تعالى لسؤال نبيه داود عليه السلام مع تكليفه بأداء رسالته لأهل محبته الذين استجابوا لهذه الرسالة الربانية التي فيها تكاملهم.

– في أخبار داود عليه السلام: يا داود إنك تزعم أنك تحبني فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا عن قلبك, فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب [27].

محبة الله تعالى مقيدة بقيد عدمي وهو إفراغ قلب المحب من حب الدنيا, كما قال تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) [28].

– قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن لله تعالى شرابا لأوليائه إذا شربوا سكروا، وإذا سكروا طربوا، وإذا طربوا طابوا, وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا خلصوا، وإذا خلصوا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، وإذا وجدوا وصلوا, وإذا وصلوا اتصلوا, وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم) [29].

إن هذه المذكورات من الشرب والسكر والطرب والذوبان والخلاص والطلب والوجدان والوصول والاتصال عبارة عن حالات معنوية قربية يفيضها المحبوب في قلوب محبيه السائرين في طريق المحبة الإلهية.

– قال أمير المؤمنين عليه السلام: (حب الله نار لا يمر على شيء إلا احترق، ونور الله لا يطلع على شيء إلا أضاء, وسماء الله ما ظهر من تحته شيء إلا غطاه، وريح الله ما تهب في شيء إلا حركته،

---

[26] نفس المصدر السابق ص162.

[27] نفس المصدر السابق ص123.

[28] الأحزاب 4.

[29] نفس المصدر السابق.

وماء الله يحيي به كل شـــيء، وأرض الله ينبت منها كل شـــيء، فإن أحب الله أعطاه كل شـــيء من الملك والملك) [30].

إن هذه المذكورات كسابقتها من الحالات المعنوية والقربية مما يفيضها الحق على العبد.

– قال الإمام الحســين عليه الســلام في دعاء عرفة: (أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك, ولم يلجأوا إلى غيرك).

وفي موضع آخر من الدعاء قال: (يا من أذاق أحبائه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين) [31].

إن الإمام الحسـين عليه السـلام قد تجسـد فيه حب الله تعالى بجميع أبعاده ومسـوياته في مسـيرته العاشورائية التي قصد فيها ذات الله وضحى من أجلها بكل ما يملك حتى تمثل قائلا ودماء الشهادة تقطر:

إلهي تركت الخلق طراً في هواك
وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إرباً
لما مال الفؤاد لسواك

– في مناجاة العارفين لسـيد السـاجدين الإمام زين العابدين عليه السـلام قال: (إلهي فاجعلنا من الذين توشحت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بجامع قلوبهم).

ثم قال: (وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسـارعون، وبابك على الدوام يطرقون، وإياك في الليل والنهار يعبدون، وهم من هيبتك مشـفقون، الذين صـفيت لهم المشـارب، وبلغتهم الرغائب، وأنجحت لهم المطالب، وقضـيت لهم من وصـلك المآرب، وملأت لهم ضـمائرهم من حبك, ورويتهم صافي شرابك، فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا, ومنك على أقصى مقاصدهم حصلوا).

ثم قال: (فقد انقطعت إليك همتي، وانصـرفت نحوك رغبتي، فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا سـواك سـهري وسـهادي، ولقاؤك قرة عيني، ووصـلك منى نفسـي، وإليك شـوقي, وفي محبتك ولهي، وإلى هواك صـبابتي، ورضـاك بغيتي, ورؤيتك حاجتي, وجوارك طلبي، وقربك غاية مسـألتي، وفي مناجاتك روحي وراحتي، وعندك دواء علتي، وشفاء غلتي، وبرد لوعتي، وكشف كربتي).

ثم قال: (ولا تقطعني عنك، ولا تباعدني منك، يا نعيمي وجنتي, ويا دنياي وآخرتي) [32].

---

[30] تذكرة الأخبار ج1 ص254.

[31] مفاتيح الجنان ص215.

[32] نفس المصدر السابق ص127.

وفي موضع آخر من مناجاة المحبين قال السجاد عليه السلام: (إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدنا، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا، إلهي! فاجعلني ممن اصطفيته لقربك وولايتك، وأخلصته لودك ومحبتك، وشوقته إلى لقائك، ورضيته بقضائك، ومنحته بالنظر إلى وجهك، وحبوته برضاك، وأعذته من هجرك).

ثم قال: (وهميت قلبه لإرادتك، واجتبيته لمشاهدتك، وأخليت وجهه لك وفرغت فؤاده لحبك).

ثم قال: (اللهم أجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين، ودهرهم الزفرة والأنين، وجباههم ساجدة لعظمتك، وعيونهم ساهرة في خدمتك، ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم معلقة بمحبتك وأفئدتهم منخلعة من مهابتك، يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة وسبحان نور وجهه لقلوب عارفيه شائقة! يا منى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال تجعلك أحب إلي ممن سواك) [33].

وفي مناجاة المفتقرين قال السجاد عليه السلام: (وغلتي لا يبردها ألا وصلك، ولوعتي لا يطفيها ألا لقاؤك، وشوقي إليك لا يبله إلا وسقمي لا يشفيه ألا طبك، وغمي لا يزيله إلا قربك، وجرحي لا يبرؤه ألا صفحك، ورين قلبي لا يجلوه إلا عفوك، ووسواس صدري لا يزيحه إلا أمرك) [34].

إن هذه المناجاة السجادية على مختلف أصعدتها تمثل أعلى درجات الحب الإلهي وما انتهى اليه المحبون في غمار مسيرتهم نحو الله تعالى.

– قال الإمام الصادق عليه السلام: (حب الله إذا أضاء على سر عبد أخلاه من كل شاغل وكل ذكر سوى الله، والمحب أخلص الناس سرا لله، وأصدقهم قولا، وأوفاهم عهدا، وأزكاهم عملا، وأصفاهم ذكرا، وأعبدهم نفسا، تتباهى الملائكة عند مناجاته، وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله بلاده، وبكرامته يكرم الله عباده، ويعطيهم إذا سألوه بحقه، ويدفع عنهم البلايا برحمته، ولو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه).

إن هذه المذكورات كسوابقها من المقامات الرفيعة والمراتب العالية التي ينبغي أن يتصف بها المحب لله تعالى حتى ينال ما يستحق من العطايا والمواهب الإلهية.

– روي: أن زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه، وتخلت للعبادة، وانقطعت إلى الله تعالى, وكان يوسف يدعوها إلى فراشه نهارا فتدافعه إلى الليل، وإذا دعاها ليلا سوفت إلى النهار فعاتبها في ذلك فقالت: يا رسول الله إنما كنت أحبك قبل أن أعرف ربك، فأما إذ عرفته فلا أؤثر على محبته محبة من سواه، وما أريد به بدلا [35].

---

[33] نفس المصدر السابق.

[34] نفس المصدر السابق.

[35] جامع السعادات ج1 ص132.

إن هذا الانفراد والتخلي عن العباد الحاصل من امرأة العزيز تجاه نبي الله يوسف عليه السلام إنما حصل بعد عرفانها الحق, وهي القائلة: سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية, والعبيد ملوكا بالطاعة [36].

– روي في بعض الأخبار: أن بعض أهل الله سأل بعض الصديقين أن يسأل الله تعالى أن يعطيه ذرة من معرفته، ففعل ذلك، فحار عقله وذهل لبه، ووله قلبه، وهام في الجبال، وبقي شاخصا سبعة أيام، لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء، فسأل له الصديق ربه أن ينقص بعض الذرة من المعرفة التي أعطاه، فأوحى الله تعالى إليه: (إنا أعطيناه جزءا من مئة ألف جزء من ذرة من المعرفة، وذلك أن مئة ألف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألني هذا، فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا، فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيتك، فقسمت ذرة من المعرفة بين مئة ألف عبد، فهذا ما أصابه من ذلك. فقال: سبحانك سبحانك أنقصه مما أعطيته، فأذهب الله عنه جملة ما أعطاه، وأبقى فيه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مئة ألف جزء من ذرة، فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن، وصار كسائر الكمل من العارفين [37].

إن هذا العطاء الإلهي المعرفي يتناسب مع مقدار ما يستحقه المعطى له بحسب الإمكانات والاستعدادت.

الرضا بالقضاء الإلهي

الرضا ضد السخط وهو ملكة عدم الإنكار والاعتراض على الواردات الإلهية والتقديرات الربانية.

– قال الله سبحانه: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) [38].

الرضا الإلهي بما قدموا إليه من الصدق والرضا عن الله بما آتاهم من الثواب.

– قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان، يسرحون فيها، ويتنعمون فيها كيف شاؤوا. فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب ؟ فيقولون ما رأينا حسابا، فتقول لهم: هل جزتم الصراط ؟ فيقولون: ما رأينا صراطا. فتقول لهم: هل رأيتم جهنم ؟ فيقولون: ما رأينا شيئا. فتقول الملائكة: من أمة من أنتم ؟ فيقولون: من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فتقول: ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا.

---

[36] تسلية المجالس ص213.

[37] إحياء العلوم 4 / 288.

[38] المجادلة 22.

فيقولون: خصلتان كانتا فينا، فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته، فيقولون: وما هما ؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه، ونرضى باليسير مما قسم لنا، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا [39].

إن من آثار الحب الإلهي التي يتفضل الله تعالى بها على أهل محبته هاتين الخصلتين:

الأولى: الحياء من المعصية في الخلوة, قال الإمام الصادق عليه السلام : ما أحب الله من عصاه. ثم تمثل بقوله [40]:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته * إن المحب لمن أحب مطيع

والثانية: الرضا باليسير المقسوم.

– روي : أن موسى عليه السلام قال : يا رب دلني على أمر فيه رضاك عني أعمله ، فأوحى الله تعالى ، اليه: أن رضاي في كرهك ، وأنت ما تصبر على ما تكره ، قال : يا ربّ ، دلني عليه ، قال : فإن رضاي في رضاك بقضائي [41].

إن الرضا الإلهي متوقف على شروط ومن هذه الشروط رضا العبد بقضاء الله تعالى.

– روي: أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضى عنا ؟ فقال موسى عليه السلام: إلهي قد سمعت ما قالوا، فقال: يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم [42].

من شروط الرضا الإلهي رضا العبد على الله تعالى.

– قال الإمام الصادق عليه السلام: (قال الله عز وجل: عبدي المؤمن، لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيرا له، فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي, وليشكر نعمائي اكتبه يا محمد من الصديقين عندي) [43].

إن وصول العبد لدرجة الصديقين عند الله تعالى مبني على مروره بمجموعة من التعاملات الإلهية الموصلة لنيل هذه الدرجة العظيمة ومنها اتصاف العبد بالمذكورات الثلاثة:

1– الرضا بالقضاء الإلهي.

2– الصبر على البلاء الإلهي.

---

[39] جامع السعادات ج1 ص165.

[40] تفسير الأمثل ج2 ص165.

[41] دعوات الراوندي ص 71.

[42] الكافي 2 : 51 | 7 .

[43] الكافي 2 : 50 | 6 .

3- شكر النعم الإلهية.

- قال الإمام الصـــادق عليه الســـلام: (إن فيما أوحى الله عز وجل إلى موســـى بن عمران عليه السلام: يا موسى ابن عمران ما خلقت خلقا أحب إلي من عبدي المؤمن، وأني إنما أبتليه لما هو خير له، وأعافيه لم هو خير له، وأزوي عنه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصـلح عليه عبد، فليصـبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، اكتبه في الصديقين عندي، إذا عمل برضاي وأطاع أمري) [44].

إن هذا كسابقه مضافا لاتصاف العبد بصفتين:

1- العمل بالرضا الإلهي.

2- طاعة الأوامر الإلهية.

التوكل

التوكل هو اعتماد القلب في جميع الأمور على الله تعالى, وهذا أولا.

وثانيا: هو أن يحيل العبد جميع أموره على الله.

وثالثا: هو أن يتبرى العبد من كل حول وقوة وأن يعتمد على حول الله وقوته.

- قال الله سبحانه: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [45].

الإيمان مشروط بالتوكل على الله تعالى.

- قال الله سبحانه: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [46].

التوكل واجب على المؤمنين.

- قال الله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [47].

المتوكل حبيب الله.

---

[44] أمالي المفيد : 93 | 2 .

[45] المائدة 23.

[46] التوبة 51.

[47] آل عمران 159.

– قال الله سبحانه: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [48].

الله تعالى حسب المتوكل بأن يكفيه فيما يريده.

– قال الله سبحانه: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [49].
إن الله تعالى ناصر المتوكل وهو عزيز لا يغلب وحكيم يضع الأمور مواضعها الصحيحة والمناسبة.

– ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله ناراً فكلمه الله عز وجل فرجع نبياً، وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان، وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين [50].

إن هذه النتائج الايجابية الحاصلة مصدرها تفويض الأمر لله تعالى والتوكل عليه على الرغم بجهالة الإنسان وقصوره.

– ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : كان فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال له : يا بني ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيته في طلب الرزق إن الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره ، وآتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة ، إن الله تبارك وتعالى سيرزقه في الحال الرابعة. أما أول ذلك فانه كان في رحم أمه يرزقه هناك في قرار مكين حيث لا يؤذيه حر ولا برد ، ثم أخرجه من ذلك وأجرى له رزقاً من لبن أمه يكفيه به ويربيه وينعشه من غير حول به ولا قوة , ثم فطم من ذلك فأجرى له رزقاً من كسب أبويه برأفة ورحمة له من قلوبهما لا يملكان غير ذلك حتى انهما يؤثرانه على أنفسهما في أحوال كثيرة حتى إذا كبر وعقل واكتسب لنفسه ضاق به أمره ، وظن الظنون بربه ، وجحد الحقوق في ماله ، وقتر على نفسه وعياله مخافة اقتار رزق ، وسوء يقين بالخلف من الله تبارك وتعالى في العاجل والآجل ، فبئس العبد هذا يا بني [51].
إن هذه الأحوال الأربعة – الرحم, الرضاع, الفطام, الكبر – التي يمر بها العبد وهو في جميعها ضعيف وعاجز عن طلب الرزق وإنما الرزق بيد الله تعالى.

---

[48] الطلاق 3.

[49] الأنفال 159.

[50] أمالي الصدوق 150 ح 7 مجلس 33.

[51]

– ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال : إن موسى بن عمران عليه السلام قال : يا رب رضيت بما قضيت ، تميت الكبير وتبقى الطفل الصغير . فقال الله جل جلاله : يا موسى أما ترضاني لهم رازقاً وكفيلاً ؟ قال : بلى يا رب فنعم الوكيل أنت ونعم الكفيل [52].

الموت والحياة بيد الله تعالى.

– قال الإمام الصادق عليه السلام: (أوحى الله إلى داود: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن، إلا جعلت له المخرج من بينهن) [53].

إن من الآثار المترتبة على التوكل هي إن يجعل الله تعالى الفرج والمخرج من المكائد والأهوال الصعبة التي يقدرها الله تعالى على العبد فيما إذا توكل واعتمد العبد على مولاه بنية صادقة ومخلصة.

– قال الإمام الصادق عليه السلام: إن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعن أمل كل مؤمل من الناس في غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحينه من قربي ولأبعدنه من وصلي، أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ؟ ويرجو غيري ؟ ويقرع بالفكر باب غيري، وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة ؟ وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن ذا الذي أملني لنوائبه فقطعته دونها، ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني ؟ جعلت آمال عبادي عندي محفوظة، فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي، وأمرتهم ألا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلا من بعد أذني ؟ فما لي أراه لاهيا عني ؟ أعطيته بجودي ما لم يسألني، ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده، وسأل غيري، أفتراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ؟ ثم أسأل فلا أجيب سائلي؟ أبخيل أنا فيبخلني عبدي ؟ أو ليس الجود والكرم لي ؟ أو ليس العفو والرحمة بيدي ؟ أولست أنا محل الآمال ؟ فمن يقطعها دوني ؟ أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري ؟ فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعا، ثم أعطيت كل واحد منهم مثلما أمل الجميع، ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيمه ؟ فيا بؤسا للقانطين من رحمتي! ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني [54].

---

[52] نفس المصدر السابق ح3.

[53] أمالي الطوسي 1 : 243 .

[54] التمحيص 55 | 108 .

– ورد أن موســـى عليه الســـلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو إســـرائيل فعرفوا علته فقالوا له : لو تداويت بكذا لبرأت. فقال : لا أتداوى حتى يعافيني من غير دواء، فطالت علته فقالوا له : إن دواء هذه العلة معروف مجرب وإنا نتداوى به فنبرأ. فقال : لا أتداوى، فدامت علّته فأوحى الله إليه : «وعزتي وجلالي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك. فقال لهم : داووني بما ذكرتم، فداووه فبرأ، فأوجس في نفســـه من ذلك، فأوحى الله إليه : أردت أن تبطل حكمتي بتوَكلك علي، فمن أودع العقاقير منافع الأشياء غيري [55].

إن تعلق النبي موسى عليه السلام بالسبب الغيبي المتمثل بالتوكل على الله تعالى ورفضه للسبب المادي وهو التداوي بالعقاقير فيه نقطة قوة لولا مدخلية السبب المادي وأن ما ورائه السبب الغيبي الإلهي.

السخط والاعتراض على القضاء الإلهي

السخط ضد الرضا وهو ملكة الإنكار والاعتراض على الواردات الإلهية والتقديرات الربانية. وأما عدم الاعتماد فهو ملكة عدم اعتماد القلب في أموره على الله والوثوق بالوسائط. وأما الحزن فهو ملكة التحسر والتألم لفقد محبوب أو فوت مطلوب.

– قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ) [56].

إذا قيل للذين يعترضون على الأمور الربانية التي فيها صلاحهم آمنوا إيمانا حقيقيا كما آمن الناس المتحققون بحقائق الحقيقة الانسانية الكمالية قال المعترضون مستفهمين منكرين: أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ فكان التعامل الإلهي تجاه هؤلاء: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) فقد التمس تعالى لهم العذر بنفي العلم عنهم.

– ورد في الخبر القدسي: (خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه، وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف ؟) [57].

إنه تعالى أنذر الذي يسخط ويعترض على مقدراته بأن له الويل والنار.

– ورد الخبر القدسي: (أنا الله لا إله إلا أنا، من لم يصبر على بلائي، ولم يشكر على نعمائي، ولم يرض بقضائي، فليتخذ ربا سواي) [58].

---

[55] المحجة البيضاء ج 7 ص 432.

[56] البقرة 13.

[57] جامع السعادات ج2 ص161.

[58] مشكاة الأنوار : 299 .

هذا – فليتخذ ربا سواي – جواب من لم يتصف بالمذكورات الثلاثة المتقدمة – عدم الصبر على البلاء, عدم شكر النعماء, عدم الرضا بالقضاء – التي هي علامات الصديقين بمعنى أن الساخطين والمعترضين على الله تعالى بمنزلة المكذبين بالربوبية.

– ورد في مناجاة موسى: (أي رب أي خلقك أحب إليك ؟ قال: من إذا أخذت منه المحبوب سالمني. قال: فأي خلقك أنت عليه ساخط ؟ قال: من يستخيرني في الأمر فإذا قضيت له سخط قضائي) [59].

إن الذي يسخط قضاء الله تعالى فإنه تعالى يسخط عليه من باب العدل ومبادلة السخط بالسخط والفارق أن سخط الله داخل في مصلحة نفس العبد الساخط.

– ورد: أن نبيا من الأنبياء شكى إلى الله عز وجل الجوع والفقر والعرى عشر سنين فما أجيب إليه، ثم أوحى الله تعالى إليه: كم تشكو ؟ وهكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السماوات والأرض، وهكذا سبق لك مني، وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا، أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك ؟ أم تريد أن أبدل ما قدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب، ويكون ما تريد فوق ما أريد ؟ وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة [60].

تقدم سابقا أن مثل هكذا اعتراضات تصدر من الأنبياء تكون واقعة في مقام الإنس والانبساط التي لها مدخلية في قرب النبي وتقربه من الله تعالى.

– روي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود تريد وأريد ، وإنما يكون ما أريد ، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ، ولا يكون إلا ما أريد [61].

الإرادة الإلهية قاهرة وحاكمة على الإرادة الإنسانية فالتسليم بهذه الحقيقة يعني أن الله تعالى يضمن للمتوكل الكفاية والأمان بينما عدم التسليم بهذه الحقيقة أنه تعالى يضمن للساخط التعب والحرمان.

النميمة

النميمة وهي ملكة أن ينم قول الغير إلى المقول فيه، وهذا أولا.

وثانيا: هي ما لا يختص بالمقول فيه بل على كشف ما يكره كشفه.

---

[59] مسكن الفؤاد ص86.

[60] إحياء العلوم: 4 / 295.

[61] نفس المصدر السابق.

– قال الله سبحانه: (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) [62].

الهماز هو العبد الذي يمشي بين الناس بإيجاد الإفساد والفرقة والخصومة والعداء فيما بينهم بنحو الإصرار على هذا الخلق الذميم حيث توعده الله تعالى بالويل والوبال والخسران حيث قال تعالى: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) [63].

– قال رسول الله صلى الله عليه وآله في أحد خطبه: ومن مشى في نميمة بين إثنين سلط الله عليه في قبره نارا تحرقه إلى يوم القيامة [64].

– روي: أنه أصاب بني إسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات فما أجيب . فأوحى الله تعالى إليه : إني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة. فقال موسى : يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا ؟ فقال : يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما ؟! فتابوا بأجمعهم فسقوا [65].

هذا الخلق الرباني المتمثل بترك النميمة موجب لحصول التوبة ورجوع الناس إلى الله تعالى الذي بدوره يجزيهم أفضل النعم والعطايا.

الزهد

الزهد وهو ملكة أن لا يريد الدنيا بقلبه ويتركها بجوارحه إلا بقدر ضرورة بدنه. وهذا أولا.

وثانيا: هو ملكة الإعراض من متاع الدنيا وطيباتها.

وثالثا: هو الرغبة عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله عدولا إلى الله.

– قال تعالى: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [66].

يحرم الاهتمام بمتاع الدنيا الزائل الفاني وإنما يجب الاهتمام بما عند الله تعالى من أرزاق خيرية وباقية.

– قال النبي صلى الله عليه وآله: من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه، فأنطق بها لسانه، وعرفه دار الدنيا ودواءها، وأخرجه منها سالما إلى دار السلام [67].

إن من آثار التخلق بالزهد في الدنيا أربعة:

---

[62] القلم 11.

[63] الهمزة 1.

[64] وسائل الشيعة ج 8 ح6.

[65] المحجة البيضاء ج5 ص276.

[66] طه 131.

[67] من لا يحضره الفقيه 293/4.

1– أن يدخل الله تعالى الحكمة قلب الزاهد.

2– أن ينطق الله تعالى الحكمة لسان الزاهد.

3– أن يعرف الله تعالى الزاهد دار الدنيا ودواءها.

4– أن يخرج الله تعالى الزاهد من الدنيا سالما إلى دار الجنة والسلام.

– روي: أنه صلى الله عليه وآله خرج ذات يوم يمشي ومعه جبرئيل، فصعد على الصفا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق, فلم يتم كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمر الله القيامة أن تقوم ؟ قال: لا ولكن هذا إسرافيل عليه السلام قد نزل إليك حين سمع كلامك. فأتاه إسرافيل، فقال: إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الأرض، وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت، وإن شئت نبيا ملكا، وإن شئت نبيا عبدا. فأومأ إليه جبرئيل أن تواضع لله. فقال: نبيا عبدا [68].

هكذا حال الكرم الإلهي على الرغم من شكوى رسوله عليه وآله السلام ثم الاغداق عليه بتسليمه مفاتيح الأرض وخيراتها المادية ولكن اختيار الزهد بهذه النعم خير وأبقى كما تقدم.

الغنى

الغنى وهو وجود كل ما يحتاج إليه.

– قال الله سبحانه: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى) [69].

إذا كثر مال الإنسان واستغنى فإنه يبطر ويطغى ويتعدى الحدود الإلهية ولكن الخلق الإلهي أجابه محذرا ومنذرا بقوله تعالى: (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) [70].

– أوحى الله تعالى إلى موسى: يا موسى لن يتزين المتزينون بزينة أزين في عيني من الزهد . يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين. وإذا رأيت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته [71].

---

[68] جامع السعادات ج2 ص48.

[69] العلق 6–7.

[70] العلق 8.

[71] مكارم الأخلاق 447.

أما اعتبار كون الفقر شعارا للصالحين فلكونه بابا لنيل الرضا الإلهي حيث خصه بأنبيائه وأوليائه ومحبيه. واما اعتبار الغنى ذنبا معجل العقوبة فلكونه بابا لنيل الدنيا وملذاتها. ولذا كان الزهد في الدنيا من أزين الزينة التي يراها الله تعالى جمالا ووقارا.

الفقر

الفقر ضد الغنى وهو فقد وجود كل ما يحتاج إليه.

– قال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [72].

الفقراء الذين احصرهم الجهاد في سبيل الله تعالى فإنه سبحانه حث على الانفاق عليهم والوقوف الى جانبهم ومساعدتهم حيث قال: (مَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [73].

– قال صلى الله عليه وآله: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الأخ إلى أخيه في الدنيا، فيقول: وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة. أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم الغرق. فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به، ويدخله الجنة [74].

هذا الاعتذار أو الشبيه بالاعتذار من الأدب والخلق الرباني وقد ورد فيه أكثر من رواية كما جاء في قول الإمام الصادق عليه السلام :

– إن الله جل ثناؤه ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: وعزتي وجلالي ما أحوجتك في الدنيا من هوان كان بك علي، فارفع هذا السجف، فانظر إلى ما عوضتك من الدنيا. قال: فيرفع، فيقول: ما ضرني ما منعتني ما عوضتني [75].

– إن الله عز وجل يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين شبيها بالمعتذر إليهم، فيقول: وعزتي وجلالي ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم علي، ولترون ما أصنع بكم اليوم، فمن زود منكم في دار الدنيا معروفا فخذوا بيده فأدخلوه الجنة ، قال: فيقول رجل منهم: يا رب، إن أهل الدنيا تنافسوا في

---

[72] البقرة 273.

[73] البقرة 273.

[74] المحجة البيضاء 7 : 323 .

[75] جامع السعادات ج2 ص67.

دنياهم، فنكحوا النساء، ولبسوا الثياب اللينة، وأكلوا الطعام، وسكنوا الدور، وركبوا المشهور من الدواب. فأعطني مثل ما أعطيتهم. فيقول تبارك وتعالى: لك ولكل عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدنيا منذ كانت الدنيا إلى أن انقضت الدنيا سبعون ضعفا.

ستر العيوب

ستر العيوب عبارة عن إخفاء وكتمان عيوب الآخرين بنحو التغافل عنها بالمقدار الممكن الذي فيه مصالح عامة.

– قوله تعالى: (نَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ) [76].

إنه تعالى توعد الذين يكشفون عن عيوب الناس بأن لهم عذابا أليما في الدنيا بإقامة الحد عليهم والآخرة بعذاب نار جهنم. ولكن مع ذلك فإن فضله تعالى ورحمته ورأفته محيطة بالعباد كما قال سبحانه: (لَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [77].

– ورد في خبر : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطلب يوم القيامة من الله سبحانه ألا يحاسب أمته بحضرة من الملائكة والرسل وسائر الأمم لئلا تظهر عيوبهم عندهم، بل يحاسبهم بحيث لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه وسواه صلى الله عليه وآله وسلم فيقول الله سبحانه: يا حبيبي أنا أرأف بعبادي منك، فإذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك، فأنا أكره كشفها عندك أيضا، فأحاسبهم وحدي بحيث لا يطلع على عثراتهم غيري [78].

إن رأفة رسول الله عليه وآله السلام بأمته ليست بقدر الرأفة الإلهية التي أحاطت بكل الشيء, ووسعت كل شيء.

– ورد : إنه يؤتى يوم القيامة بعبد يبكي فيقول الله سبحانه له: لم تبكي ؟ فيقول: أبكي على ما سينكشف عني من عوراتي وعيوبي عند الناس والملائكة. فيقول الله: عبدي ما افتضحتك في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك، وأنت تعصيني وتضحك فكيف أفضحك اليوم بكشفها وأنت تعصيني وتبكي !؟ [79].

---

[76] النور 19.

[77] النور 20.

[78] جامع السعادات ج2 ص210.

[79] نفس المصدر السابق.

إن هذا العبد يخاف فضيحة انكشاف عيوبه عند الناس والملائكة ولا يخاف كشفها عند الله تعالى بسبب علمه بأخلاق الله تعالى التي أبت كشف هذه العيوب سواء كان الكشف في الدنيا أم الآخرة, في الضحك أم البكاء وذلك باعتبار أن أخلاقه سبحانه ثابتة راسخة لا تبدل فيها ولا تحويل.

المداراة

– قوله تعالى: (فَبِما رَحْمَة مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [80].

فضاضة القلب وغلاظته بعدم مداراة الناس في الأمور الصعبة والمستصعبة في طريق الدعوة الى الله تعالى تستلزم انفضاض ونفور الناس بينما رقة القلب ورحمته بمداراة الناس تستلزم جلب وجذب الناس. ولذلك خاطب الله تعالى رسوله بهذا الخلق الرباني وأمره في قوله تعالى: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) بإتباع أمور ثلاثة:

1– العفو.

2– الاستغفار.

3– المشاورة في الأمر.

فهنا تكون المدارة من الرحمة الإلهية الخاصة الموهوبة لرسول الله وأمته من بين سائر الأنبياء والأمم. بل أن هذه المدارة واجبة مأمور بها من قبله تعالى كما قال عليه وآله السلام: أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض [81].

وفي موضع آخر قال الإمام الصادق عليه السلام : جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد ربك يقرئك السلام ، ويقول : دار خلقي [82].

– قول الإمام الباقر عليه السلام: في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران عليه السلام : يا موسى أكتم مكتوم سري في سريرتك, وأظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي [83].

إن هذين الضدين من كتمان السر الإلهي في النفس وإظهار مدارة الناس للعدو مؤداهما واحد وهو تجلي الرحمة الإلهية وانبساطها على جميع الخلق كل بحسب استحقاقه وتقبله.

---

[80] آل عمران 159.

[81] لوافي: ج 3 ص 86.

[82] نفس المصدر السابق.

[83] جامع السعادات ج2 ص217.

انكسار النفس

هو ملكة ذلة وتواضع النفس.

– روي : أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أن يا موسى أتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي ؟ قال : يا رب ولم ذلك ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : أني قلبت عبادي ظهرا لبطن فلم أجد فيهم أحدا أذل نفسا لي منك ، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب [84].

إن تواضع وذلة نفس موسى عليه السلام بسجوده على التراب وخضوعه لله تعالى أوجب هذا اللطف الإلهي العظيم بجعله كليم الله.

– روي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال : أن نوحاً عليه السلام كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله ، وكانت السفينة مأمورة ، فطافت بالبيت وهو طواف النساء ، فخلّى سبيلها نوح فأوحى الله عز وجل إلى الجبال : إني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن. فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي , وهو جبل عندكم ، فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل ، قال : فقال نوح عند ذلك : يا ماري أتقن ، وهو بالسريانية: رب أصلح [85].

إن تواضع وذلة جبل الجودي أمام أمر الله تعالى أوجب هذا اللطف الإلهي العظيم بجعله المكان الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام.

حب الدنيا

– قوله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [86].

إن حب هذه المذكورات من متاع الدنيا الفاني والزائل الذي يزينه الله تعالى في أعين الناس من أجل أن يسير الناس نحو الله تعالى الذي عنده مما هو باقي ودائم.

– روي أنه مر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي، ورجع وهو يبكي، فقال موسى: يا رب عبدك يبكي من مخافتك ، فقال تعالى: يا بن عمران لو نزل دماغه مع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا [87].

---

[84] الكافي 2 : 123 ح 7.

[85] نفس المصدر السابق ح12.

[86] آل عمران 14.

[87] نفس المصدر السابق.

إن حب الدنيا حجاب مانع من حصـول العبد على محبة الله سـبحانه باعتبار أن حب الدنيا وحب الله لا يجتمعان في قلب بشر بتفصيل سبق.

– أوحى الله تعالى إلى موسى وهرون لما أرسلهما إلى فرعون: لو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا، يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت، ولكني أرغب لكما عن ذلك وأزوي ذلك عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، إني لأزويهم عن نعيمها، كما يزوي الراعي الشـفيق غنمه عن مواقع الهلكة، وإني لأجنبهم عيش سلوتها، كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مواقع الغرة، وما ذلك لهوانهم علي، ولكن ليسـتكملوا نصـيبهم من كرامتي سـالما موفورا، إنما يتزين إلي أوليائي: بالذل والخشوع والخوف والتقوى [88].

إن زينة أولياء الدنيا هي التنعم بنعيم الدنيا الفانية بينما زينة أولياء الله تعالى هي الذل والخشـوع والخوف والتقوى من الله تعالى وشتان ما بين هاتين الزينتين.

– ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان لموسى بن عمران عليه السلام جليسا من أصحابه قد وعى علما كثيرا ، فاستأذن موسى في زيارة أقارب له فقال له موسى : إن لصلة القرابة ولكن إياك أن تركن إلى الدنيا ، فإن الله قد حملك علما فلا تضـيعه ، وتركن إلى غيره . فقال الرجل : لا يكون إلا خيرا . ومضى نحو أقاربه ، فطالت غيبته ، فسأل موسى عليه السلام عنه ، فلم يخبره أحد بحاله ، فسأل جبرئيل عليه السلام عنه فقال له : أخبرني عن جلسي فلان ألك به علم ؟ قال : نعم هوذا على الباب قد مسخ قردا في عنقه سلسلة . ففزع موسى عليه السلام إلى ربه ، وقام إلى مصلاه يدعو الله ، ويقول : يا رب صاحبي وجليسي ؟ فأوحى الله عزوجل إليه : يا موسى لو دعتني حتى تنقطع ترقوتاك ما استجبت لك فيه ، إني كنت حملته علما فضيعه ، وركن إلى غيره [89].

إن حب الدنيا والركون إليها حجاب مانع من حصـول العبد على العلم الإلهي وموجب لعقوبة المسخ المشار إليها في الرواية على الرغم من توسط شفاعة أولياء الله باعتبار ما تقدم من امتناع اجتماع حب الدنيا وحب الله.

القناعة

وهي ملكة توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضـرورة من المال من دون سـعي وتعب في طلب الزائد عنه. وضد القناعة الحرص بمعنى ملكة عدم الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة.

---

[88] نفس المصدر السابق.

[89] منية المريد ص135.

– قوله تعالى: (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) [90].

ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن معنى الحياة الطيبة في هذه الآية فقال هي القناعة. وفي مجمع البيان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنها القناعة والرضا بما قسم الله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من الطاعة [91].

– ورد في الخبر القدسي: يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن [92].

من أخلاقه تعالى الإحسان إلى خلقه بمختلف الموارد والامكانات التي لها دخل في قضاء الحاجات.

– قال الصادق عليه السلام: مكتوب في التوراة: ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور [93].

هذا نحو من أنحاء المقابلة والتبادل الأخلاقي الدال على التعامل بالعدل الإلهي فإن قبول عمل العبد القليل متوقف على أن يرضى ويقنع العبد بالقليل من رزق المولى.

الخوف

وهو ملكة تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال مشكوك الوقوع. والخوف على نوعين :

النوع الأول: الخوف المحمود: وهو الخوف من الله سبحانه, كما في قوله تعالى:

– (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [94].

هذا العلم الذي يجعل الإنسان في عداد العلماء عند الله تعالى هو العلم الذي يوظف في سبيل تكامل النفس وتطهيرها بنحو داع الى يقظة الفكر والسير به نحو الله تعالى.

– (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) [95].

---

[90] النحل 97.

[91] التفسير الصافي ج3 ص153.

[92] جامع السعادات ج2 ص87.

[93] نفس المصدر السابق.

[94] فاطر 28.

[95] الرحمن 46.

فهنا ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية أنه قال : من علم ان الله يراه ويسمع ما يقول ويقول ويعلم ما يعلمه من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى [96].

النوع الثاني: الخوف المذموم: وهو الخوف الذي لم يكن من الله سبحانه, كما في قوله تعالى:

– (إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) [97].

هذا خوف من الناس.

– (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) [98].

هذا خوف من الفقر.

– (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) [99].

خوف النبي إبراهيم عليه السلام من ضيوفه الملائكة بهيئة رجال ولكن هذا الخوف استتبعه أخلاق ربانية ثلاثة:

1– إعلامه تعالى النبي إبراهيم بحال وعاقبة قوم نبي الله لوط عليه السلام.

2– البشرى والفرح بمولود بعد أن كبر النبي إبراهيم عليه السلام بالسن وعقر الزوجة.

3– وصفه تعالى النبي بصفات أخلاقية فضيلة كالحلم والخوف والإنابة على الرغم من مجادلة النبي لأمر الله تعالى الذي حملته الملائكة بإهلاك قوم لوط.

الرجاء

الرجاء هو ملكة ارتياح القلب لانتظار المحبوب.

– قوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) [100].

فهنا دلت هذه الآية على النهي عن القنوط واليأس من رحمة الله, ومثلها في الدلالة روايات كثيرة منها:

---

[96] تفسير نور الثقلين ج5 ص121.

[97] النساء 77.

[98] النساء 31.

[99] هود 74–75.

[100] الزمر 53.

– روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم . فهبط جبرئيل عليه السلام فقال : إن ربك يقول : لم تقنط عبادي ؟ فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم [101].

– ما ورد : أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم ، فيقول الله له يوم القيامة : اليوم أويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها [102].

– ما ورد في أخبار يعقوب عليه السلام من أنه تعالى أوحي إليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف ؟ لقولك : (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) . لم خفت الذئب ولم ترجني أو لم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي ؟ [103].

في هذه الرواية دلالة على الترغيب على أن الرجاء سبب النجاة ومثلها روايات أخرى ومنها:

– قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فإن لقنه الله حجته ، قال : رب رجوتك وخفت الناس ، فيقول الله : قد غفرته لك [104].

– ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان ، فيقول الله لجبرئيل : إذهب فأتني بعبدي ، فيجئ به ، فيوقفه على ربه ، فيقول الله له : كيف وجدت مكانك ؟ فيقول : شر مكان ، فيقول : رده إلى مكانه . قال : فيمشي ويلتفت إلى ورائه ، فيقول الله عز وجل ، إلى أي شيء تلتفت ؟ فيقول : لقد رجوت ألا تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها ، فيقول الله تعالى : اذهبوا به إلى الجنة .

– قوله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تعالى لا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادي فيما يطلبون عندي من كرامتي ، والنعيم في جناتي ، ورفيع الدرجات العلي في جواري ، ولكن برحمتي فليثقوا ، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا ، وفضلي فليرجوا فإن رحمتي عند ذلك تدركهم ، ومني يبلغهم رضواني ، ومغفرتي تلبسهم عفوي ، فإني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت [105].

---

[101] جامع السعادات ج2 ص225.

[102] نفس المصدر السابق.

[103] نفس المصدر السابق.

[104] إحياء العلوم : ج 4 ص 125.

[105] جامع السعادات ج2 ص226.

– روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال وهو على منبره : والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين ، والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين ، والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن ، لأن الله كريم بيده الخيرات يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يختلف ظنه ورجاءه ، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه [106].

عفو الله

– قوله تعالى: (وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) [107].

– قوله تعالى: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) [108].

– قوله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) [109].

المغفرة هنا مشروطة بشروط ثلاثة:

1– التوبة.

2– الإيمان.

3– الهداية.

– (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) [110].

فهنا روي في تفسير هذه الآية إن الله أوحى إلى نبيه إني أجعل حساب أمتك إليك ، فقال : لا يا رب أنت خير لهم مني. فقال : إذن لا أخزيك فيهم [111].

من أخلاقه تعالى أنه يهب ما هو من مختصاته كالحساب المشار اليه في الآية الشريفة ومع تمنع النبي عليه وآله السلام عن القبول فإنه تعالى وهبه عطية أخرى وهو العفو عن أمته.

---

[106] بحار الأنوار ج67 ص365 ح14.

[107] الشورى 8.

[108] الرعد 6.

[109] طه 82.

[110] التحريم 8.

[111] جامع السعادات ج2 ص227.

– ما روي : إنه صلى الله عليه وآله قال يوما : يا كريم العفو . فقال جبرئيل : أتدري ما تفسير يا كريم العفو ؟ هو إنه يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها حسنات بكرمه .

فعن هذا العفو عن السيئات بحسب الرحمة الإلهية والتبديل الى حسنات بحسب الكرم الإلهي قال سبحانه وتعالى: (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) [112]. ومعلوم أن العفو عن السيئة يستوجب رفع العقوبة عن البدن وجعله سليما بينما تبديل السيئة يستوجب رفع الظلمة عن القلب وجعله نورانيا.

– قوله صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها [113].

– ما ورد : أن العبد إذا أذنب فاستغفر يقول الله لملائكته : انظروا إلى عبدي أذنب ذنبا فعلم أنه له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب : أشهدكم أني قد غفرت له [114].

الاستغفار من الذنب يستلزم العرفان بالربوبية التي من أخلاقها العفو والمغفرة.

حسن الظن بالله

هو ملكة أن عدم تغير القلب والجوارح منه عما كان من الألف والمحبة إلى الكراهة والنفرة.

– قوله تعالى: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [115].

فهنا جاء في تفسير الأمر بالإحسان هو حسن الظن بالله تعالى [116].

– قال صلى الله عليه وآله: والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن لأن الله كريم بيده الخيرات يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه [117].

من أخلاقه سبحانه أنه يكون عند ظن عبده فإن أحسن العبد الظن بالله أحسن الله تعالى الظن بعبده من باب المقابلة والمعاملة بالمثل.

---

[112] الشعراء 70.

[113] جامع السعادات ج2 ص228.

[114] نفس المصدر السابق.

[115] البقرة 195.

[116] تفسير الأمثل ج2 ص36.

[117] بحار الأنوار: ج67 ص365 ح14.

– ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن آخر عبد يؤمر به إلى النار يلتفت فيقول الله عز وجل عجلوه. فإذا أتى به قال له: عبدي لم التفت ؟ فيقول: يا رب ما كان ظني بك هذا. فيقول جل جلاله: عبدي وكان ظنك بي. فيقول: يا رب كان ظني بك أن تغفر لي خطيئتي وتسكنني جنتك. فيقول الله: ملائكتي وعزتي وجلالي وآلائي وبلائي وارتفاع مكاني ما ظن بي هذا ساعة من حياته خيرا قط, ولو ظن بي ساعة من حياته خيرا ما روعته بالنار أجيزوا له كذبه وادخلوه الجنة [118].

هذا النحو من التعامل الإلهي الأخلاقي في يوم القيامة المتمثل بإجازة الكذب بغفران الخطيئة وإسكان الجنة سبقه تعاملات إلهية من هذا القبيل في الدنيا وذلك باعتبار ما قلناه بأن أخلاقه سبحانه ثابتة لا يطرأ عليها التبديل أو التحويل.

سوء الظن بالله

هو ملكة تغير القلب والجوارح منه عما كان من الألف والمحبة إلى الكراهة والنفرة.

– قوله تعالى: (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ)[119].

من أخلاقه تعالى تعذيب هؤلاء الذين يظنون بالله ظن السوء بمعنى النفاق والشرك وعدم نصرة الرسل تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

– قال الإمام الرضا عليه السلام : أحسن الظن بالله فإن الله عز وجل يقول : أنا عند ظن عبدي لي ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر[120].

من أخلاقه سبحانه أنه يكون عند ظن عبده فإن أساء العبد الظن بالله أساء الله تعالى الظن بعبده من باب المقابلة والمعاملة بالمثل.

التوبة إلى الله

– قال الله تعالى: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) [121].

الرحمة والعلم الإلهي الواسع سبب في غفران ذنوب التائبين الراجعين الى الله تعالى.

– قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) [122].

---

[118] ثواب الأعمال ص164.

[119] الفتح 6.

[120] غر الحكم ص213.

[121] غافر 7.

[122] الشورى 25.

من مختصات المولى جل وعلا قبول توبة العباد.

– قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا) [123].

فهنا ورد قول الإمام الصادق عليه السلام: إذا تاب العبد توبة نصوحا أحبه الله فستر عليه. فقلت: وكيف يستر عليه ؟ قال: ينسي ملكيه ما كأنه يكتبان عليه، ويوحي إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله عز وجل حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب [124].

التوبة النصوح الصادقة من الذنوب من قبل العبد مطلوبة ومأمور بها ولكنها من الله تعالى في قمة العطاء والتفضل حيث تستوجب التوبة الكثير من الأخلاق الإلهية العظيمة العالية ومنها خلقيين إلهيين عاليين:

1– محبة الرب للعبد.

2– ستر الرب على العبد.

– قال الإمام الباقر عليه السلام: إن الله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها [125].

من آثار التوبة أنها تستوجب شدة فرحة المولى بتوبة العبد.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إن الله يحب من عباده المفتن التواب [126].

المقصود بالمفتن التواب هو الذي يقترف الذنوب ثم يسارع إلى التوبة والاستغفار منها.

الصبر

الصبر ضد الجزع وهو ملكة ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب.

– قوله تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) [127].

---

[123] التحريم 8.

[124] أخلاق أهل البيت ص216.

[125] أصول الكافي: ج 2 ص 435 .

[126] الوافي ج 3 ص 183 عن الكافي.

[127] البقرة 45.

الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة من الأوامر التعبدية والآيات الربانية كما قال سبحانه: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [128]. بحيث تعد من العطايا الإلهية والمواهب الرحمانية التي يتلقاها من اتصف بهذا الخلق كما قال سبحانه: (وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) [129].

– روي: أنه تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود تخلق بأخلاقي، وأن من أخلاقي أني أنا الصبور. وفي رواية: فاصبر على الأيام صبر الملوك [130].

من أخلاقه تعالى أنه صبور .

– قال صلى الله عليه وآله وسلم: (قال الله عز وجل: إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده، ثم استقبل ذلك بصبر جميل، إستحييت منه أن أنصب له ميزانا وأنشر له ديوانا) [131].

الصبر الجميل على المصائب والنوائب من قبل العبد موجب لحياء المولى من العبد الذي يكرم عبده بترك حسابه وإدخاله جناته الخالدة.

– روي أنه لما كلم الله موسى عليه السلام اعتزل النساء وترك أكل اللحم، ولم يصبر هارون, فتزوج وأكل اللحم. فقيل لموسى عليه السلام، فقال: لكني لا أرجع في شيء تركته لله أبداً.

الصبر على الطاعة من شيم أهل العزم الذين يهبهم الله تعالى من مكنون أخلاقه.

– قال الإمام الصادق عليه السلام: (إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة، فيضربونه، فيقال لهم: من أنتم ؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم ؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله, ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله تعالى: صدقوا أدخلوهم الجنة. وهو قول الله تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) [132].

من الآثار المترتبة على الصبر أنه تعالى يجزي الصابرين بغير حساب.

– قال الصادق عليه السلام: (إن الله عز وجل أنعم على قوم فلم يشكروا، فصارت عليهم وبالا، وأبتلي قوما بالمصائب فصبروا، فصارت عليهم نعمة) [133].

---

[128] إبراهيم 5.

[129] القصص 80.

[130] تذكرة الأخبار ص26.

[131] جامع الأخبار ص136.

[132] نفس المصدر السابق.

[133] نفس المصدر السابق.

هذا نحو من التبديل حيث يبدل الله تعالى النعم إلى مصائب بسبب ترك التخلق بفضيلة الشكر, ويبدل المصائب إلى نعم بسبب التخلق بفضيلة الصبر.

الجزع

ضد الصبر بمعنى ملكة عدم ثبات النفس اضطرابها في الشدائد والمصائب.

– قوله تعالى: (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) [134].

الله تعالى يمتحن المؤمنين تحريكا شديدا بحيث يؤدي الى جزعهم من أجل فائدتهم المتمثلة في الرجوع الى الله تعالى كما قال سبحانه: (قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا) [135].

– روي: (أن زكريا لما هرب من الكفار، واختفى في الشجرة وعرفوا ذلك جاؤا بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار رأس زكريا، فأن أنة، فأوحى الله إليه: يا زكريا لئن صعدت منك أنة ثانية لأمحونك من ديوان النبوة, فعض زكريا عليه السلام على أصبعه حتى قطع شطرين) [136].

الأنين فرع إظهار الجزع الذي لا يتناسب مع مقام النبوة الذي يخص الله تعالى به عباده الصابرين والمخلصين.

الأمن من مكر الله

هو ملكة أخذ المولى العبد بالضر من حيث لا يحتسب.

– قال الله سبحانه : (أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) [137].

من أخلاقه تعالى أنه غير مأمون المكر من أجل أن يتخلق العبد بخلق الخوف منه تعالى ليسارع العبد لعمل الطاعة واجتناب المعصية, ومع فقد هذا الخلق يكون العبد خاسرا في الدنيا والآخرة خسرانا مبينا. لذا روي أنه لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل يبكيان فأوحى الله إليهما : ما لكما تبكيان ؟ فقالا : يا رب لا نأمن مكرك ، فقال الله : هكذا كونا ، لا تأمنا مكري [138].

---

[134] الأحزاب 11.

[135] الأحزاب 17.

[136] بحار الأنوار 15: 2.

[137] الأعراف 99.

[138] جامع السعادات ج2 ص235.

وفي موضـــع آخر روي أن النبي وجبرئيل بكيا من خوف الله تعالى فأوحى الله إليهما : لم تبكيان وقد أمنتكما ؟ فقالا : ومن يأمن مكرك ؟ وكأنهما لم يأمنا أن يكون قوله (قد أمنتكما) ابتلاء لهما وامتحانا حتى أن سكن خوفهما .

الغيرة والحمية

وهي ملكة الاهتمام في محافظة ما يلزم حفظه.

– قال تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) [139].

من أخلاقه تعالى وهو العالم بكل شيء أن يذم الكفار تعالى بسبب حمية الجاهلية وأن يمدح المؤمنين ويؤيدهم بإنزال السكينة ولزوم كلمة التقوى.

– قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله يغار ، والمؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه .

هذا هو معنى غيرة الله تعالى المتمثلة بحفظ تعاليم الدين الإيمانية وعدم التعدي عليها ومثل هذه الرواية في الدلالة روايات أخرى ومنها [140]:

– قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله لغيور ، ولأجل غيرته حرم الفواحش .

– قال الإمام الصـــادق عليه الســـلام : إن الله تعالى غيور ويحب الغيور ، ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها.

فهنا المؤمن الذي يأتي بالموبقات والمعاصي فإنه ليس بغيور فيذله الله تعالى بسبب تركه هذا التخلق الفاضل كما جاء عن رسول الله عليه وآله السلام:كان أبي إبراهيم غيوراً، وأنا أغير منه، وأرغم الله أنف من لا يغار من المؤمنين [141].

هذا مع أن ما تقدم من الغيرة المحمودة عند الله تعالى وهي الغيرة التي يكون منشأ صحيحا وأما الغيرة المذمومة والمكروهة عند الله تعالى فهي الغيرة التي ليس لها منشـــأ صـــحيح كما قال النبي عليه وآله الســـلام: من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فأما ما يحب فالغيرة في الريبة وَأما ما يكره فالغيرة في غير الريبة.

---

[139] الفتح 26.

[140] فروع الكافي ج5 ص536.

[141] كنز العمال ج3 ص385.

التكبر

وهو ملكة التعظيم الموجب لرؤية العبد نفسه فوق الغير.

– قال الله سبحانه : (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) [142].

من أخلاقه تعالى أن يثبت في قلب المتكبر الذي يرى لنفسه شيئا من العظمة التكذيب لآيات الله تعالى, فإذنا جاءت مثل هذه الآيات رأيت المتكبر منصرفا عنها كما قال الله سبحانه: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) [143].

– قال صلى الله عليه وآله: قال الله الكبرياء ردائي والعظمة أزاري ، فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في جهنم [144].

من أخلاقه تعالى أن يلقي المتكبر في نار جهنم جزاء بما تقمص لنفسه من أوصاف مختصة بالحق سبحانه وتعالى كمثل الكبرياء والعظمة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إن المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطّأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب.

من أخلاقه تعالى أن يؤخر المتكبرين الذين يترفعون عن الناس في دار الدنيا عن الحساب من أجل أن يطأ الناس المتكبرين في دار الآخرة.

التواضع

ضد التكبر بمعنى ملكة أن لا يرى العبد لنفسه مزية على الغير.

– قوله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) [145].

من أخلاقه تعالى أن يضيف وينسب لنفسه المتواضع سواء كان التواضع أمام الناس كما في الآية الشريفة أم كان التواضع أمام الله تعالى كما قال سبحانه: (الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً) [146].

– قال الإمام الصادق عليه السلام : ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة وملك يمسكها ، فإذا تكبر قال له : اتضع وضعك الله ، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس ، وإذا

---

[142] غافر 35.

[143] الأعراف 146.

[144] كنز العمال ج 2 ص 107.

[145] الشعراء 63.

[146] الشعراء 64.

تواضع رفعها الله عز وجل, ثم قال له : انتعش نعشك الله ، فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس [147].

من أخلاقه تعالى أمران في حق المتكبر:

1- أن يرفع الله تعالى الحكمة عن المتكبر.

2- أن يضع الله تعالى المتكبر فيرى المتكبر نفسه في عينه أعظم الناس بينما يرى الناس المتكبر أصغر الناس.

وأما المتواضع فأمران أيضا:

1- أن يثبت الله تعالى الحكمة للمتواضع.

2- أن يرفع الله تعالى المتواضع فيرى المتواضع نفسه في عينه أصغر الناس بينما يرى الناس المتواضع أرفع الناس.

الجود

هو ملكة الوسط بين البخل والإسراف. وأما الإيثار فهو أرفع درجات الجود والسخاء بمعنى أن يجود الإنسان بالمال مع الحاجة إليه.

- قوله تعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [148].

فهنا سئل الإمام الصادق عليه السلام: أي الصدقة أفضل ؟ قال عليه السلام: جهد المقل أما سمعت قول الله عز وجل: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ [149].

- قال صلى الله عليه وآله وسلم: يؤتى يوم القيامة برجل فيقال: احتج، فيقول: يا رب خلقتني وهديتني، وأوسعت علي فلم أزل أوسع على خلقك، وأنشر عليهم لكي تنشر علي هذا اليوم رحمتك وتيسره. فيقول الرب تعالى ذكره : صدق عبدي، أدخلوه الجنة [150].

من أخلاقه تعالى أنه يدخل الجواد الجنة.

- روي: إنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفد من اليمن، وفيهم رجل كان أعظمهم كلاما وأشدهم استقصاء في محاجة النبي فغضب النبي حتى التوى عرق الغضب بين عينيه، وتربد وجهه وأطرق إلى الأرض، فأتاه جبرئيل فقال: ربك يقرئك السلام، ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم

---

[147] نفس المصدر السابق.

[148] الحشر 9.

[149] الوافي ج 6 ص 58.

[150] نفس المصدر السابق.

الطعام. فسكن عن النبي الغضب ورفع رأسه وقال: لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل إنك سخي تطعم الطعام لشردت بك، وجعلتك حديثا لمن خلفك . فقال له الرجل: إن ربك يحب السخاء ؟ فقال: نعم . فقال: إني أشهد ألا إله إلا الله، وإنك رسول الله، والذي بعثك بالحق، لا رددت عن مالي أحدا [151].

من أخلاقه تعالى أنه جعل الجود سببا للهداية ومعرفة طريق الحق.

– روي: أن موسى بن عمران قال: يا رب أرني بعض درجات محمد وأمته. قال: يا موسى إنك لن تطيق ذلك لكني أريك منزلة من منازله، جليلة عظيمة، فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي. قال : فكشف له عن ملكوت السماوات، فنظر إلى منزلة كادت أن تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله، فقال: يا رب، بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة ؟ قال تعالى: بخلق اختصصته به من بينهم، وهو الإيثار. يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسبته، وبوأته من جنتي حيث يشاء [152].

من أخلاقه تعالى أنه جعل الجود سببا لبلوغ أعلى مراتب القرب الإلهي.

الإيذاء والاهانة والاحتقار

هو ملكة إلحاق الأذى في القول أو الفعل.

– قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) [153].

إن من أخلاقه تعالى أن يبعد ويطرد من رحمته الخاصة الذين يؤذون الله ورسوله في الدنيا والآخرة.

– قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: قال الله تبارك وتعالى: من أهان لي وليا فقد أرصد لمحاربتي [154].

إن من أخلاقه تعالى أن يترام ويوقير الذين يتولون الله تعالى فمن أهان أو نابذ أو احتقر أولياء الله تعالى لحقه فقد أعلن الحرب على الله تعالى. ومثل هذه الرواية في الدلالة قول الإمام الصادق عليه السلام في روايات أخر منها:

---

[151] نفس المصدر السابق.

[152] نفس المصدر السابق.

[153] الأحزاب 57.

[154] سفينة البحار ج 1 ص 41.

– إن الله تبارك وتعالى يقول: من أهان لي وليا فقد أرصد لمحاربتي، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي [155].

– من حقر مؤمنا مسكينا أو غير مسكين لم يزل الله عز وجل حاقرا له ما ماقتا حتى يرجع عن محقرته إياه [156].

كف الأذى

هو ملكة عدم إلحاق الأذى في القول أو الفعل.

– قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) [157].

من أخلاقه تعالى أنه نهى الذين يعملون الأعمال السنة أن يلحقوها بأعمال طالحة فإن ذلك العمل الصالح غير مقبول.

– قال صلى الله عليه وآله وسلم: أيما مسلم خدم قوما من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداما في الجنة [158].

هذا من آثار احترام وتوقير الذين يتولون الله تعالى فخادم المسلمين في دار الدنيا يجزيه الله تعالى خداما في الجنة في دار الآخرة. ومثل هذه الرواية في الدلالة قول الإمام الصادق عليه السلام في روايات أخر منها:

– قال الله سبحانه: ليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن [159].

– من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاة كتب الله عز وجل له عشرة حسنات ومن تبسم في وجه أخيه كانت له حسنة [160].

– من قال لأخيه مرحبا كتب الله له مرحبا إلى يوم القيامة [161].

الظلم بالمعنى الأخص

---

[155] نفس المصدر السابق.

[156] نفس المصدر السابق.

[157] البقرة 264.

[158] إحياء العلوم 2 / 171.

[159] نفس المصدر السابق.

[160] نفس المصدر السابق.

[161] نفس المصدر السابق.

هو ما يرادف الإضرار والإيذاء بالغير من الأقوال والأفعال المؤذية بالغير.

– قال تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [162].

– قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) [163].

– قال تعالى: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [164].

– روي أنه تعالى أوحى إلى داود: قل للظالمين لا تذكروني فإن حقا علي أن أذكر من ذكرني، وإن ذكري إياهم أن ألعنهم [165].

من أخلاقه سبحانه أن يذكر من ذكره فهو أول الذاكرين فإن كان الذاكر ظالما فإن ذكره تعالى للظالم أن يطرده من رحمته الخاصة.

– قال الإمام الصادق عليه السلام: من ظلم سلط الله عليه من يظلمه، أو على عقبه أو على عقب عقبه . قال الراوي: قلت: هو يظلم فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه ؟! قال: فإن الله تعالى يقول: (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) [166].

من أخلاقه سبحانه الاقتصاص من الظالم أو من عقب الظالم.

العدل بالمعنى الأخص

ضد الظلم بالمعنى الأخص بمعنى الكف عن الظلم ورفعه والاستقامة وإقامة كل أحد على حقه.

– قال الله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) [167].

من أخلاقه سبحانه أنه عادل ويأمر بالعدل والإحسان من أجل أن يتخلق العبد بخلق العدل معه تعالى بأن يكون العبد مؤمنا مصدقا بتعاليم الدين والشريعة الحقة.

– قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) [168].

هذا النحو من الأمر الإلهي بالعدل مع الناس بأن يكون العبد عادلا أمينا في حفظ الأمانات.

---

[162] لقمان 13.

[163] إبراهيم 42.

[164] الشعراء 227.

[165] جامع السعادات ج2 ص170.

[166] النساء 9. الوافي ج 3 ص 162.

[167] النحل 90.

[168] النساء 58.

– قال صلى الله عليه وآله: إن في الجنة مدائن من نور، وعلى المدائن أبواب من ذهب مكللة بالدر والياقوت، وفي جوف المدائن قباب من مسك وزعفران، من نظر إلى تلك المدائن يتمنى أن تكون له مدينة منها . قالوا: يا نبي الله من هذه المدائن ؟ قال: للتائبين النادمين المرضين الخصماء من أنفسهم. فإن العبد إذا رد درهما إلى الخصماء، أكرمه الله كرامة سبعين شهيدا. فإن درهما يرده العبد إلى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل، ومن رد درهما ناداه ملك من تحت العرش استأنف العمل، فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك [169].

هذا من آثار ونتائج العدل بأن يكرم الله تعالى العادل الأمين في يوم القيامة بهذه المنزلة العظيمة من كرامة الشهيد وغفران الذنوب.

التزاور والتآلف

– قال الله سبحانه: (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ)[170].

من أخلاقه سبحانه أن يجمع بين القلوب على الألفة والمحبة.

– ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حدثني جبرئيل عليه السلام: أن الله عز وجل أهبط إلى الأرض ملكا، فأقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار، فقال له الملك: ما حاجتك إلى رب هذه الدار ؟ قال: أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى. فقال له الملك: ما جاء بك إلا ذاك ؟ فقال: ما جاء بي إلا ذاك. قال: فإني رسول الله إليك، وهو يقرئك السلام، ويقول: وجبت لك الجنة. وقال الملك: إن الله عز وجل يقول: أيما مسلم زار مسلما فليس إياه زار، بل إياي زار، وثوابه علي الجنة [171].

من أخلاقه سبحانه أن يكرم الزائر لأخيه في الله بأمرين:

1– أن يكون الزائر قد زار الله تعالى.

2– أن يثيب الله تعالى الزائر بالجنة.

– قال الإمام الباقر عليه السلام: إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أدخل الله تعالى يده بين أيديهما، وأقبل بوجهه على أشدهما حبا لصاحبه. فإذا أقبل الله تعالى بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما تتحاتت الورق من الشجر [172].

---

[169] جامع السعادات ج2 ص173.

[170] الأنفال 63.

[171] جامع السعادات ج2 ص162.

[172] نفس المصدر السابق.

من أخلاقه سبحانه أن يكرم المتصافحين في الله بأمرين:

1- أن يدخل الله تعالى يده بين يدي المتصافحين.

2- أن يقبل الله تعالى بوجهه على أشد المتصافحين حبا لصاحبه..

3- أن يغفر الله تعالى لذنوب المتصافحين.

عقوق الوالدين

- قال الله سبحانه: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [173].

الإحسان إلى الوالدين مقرون بعبادة الله تعالى بحسب القضاء الرباني لما يقومان به من رعاية وتربية الأولاد شريطة أن يشرك الوالدان الله تعالى في رعاية وتربية أولادهم.

- ورد في الخبر القدسي: بعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو أن العاق لوالديه يعمل بأعمال الأنبياء جميعا لم أقبلها منه [174].

- روي : أن أول ما كتب الله في اللوح المحفوظ: إني أنا الله لا إله إلا أنا، من رضي عنه والداه فأنا منه راض، ومن سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط [175].

- ورد في الاسرائيليات: أنه تعالى أوحى إلى موسى: أن من بر والديه وعقني كتبته برا، ومن برني وعق والديه كتبته عاقا .

حق الجوار

- قال تعالى: (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ) [176].

من أخلاقه سبحانه أن يأمر بالإحسان إلى الجار القريب والجار الغريب.

- قال الإمام الصادق عليه السلام: إن يعقوب عليه السلام لما ذهب عنه بنيامين نادى: يا رب أما ترحمني، أذهبت عيني وأذهبت ابني ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: لو أمتهما لأحييتهما لك، أجمع بينك وبينهما ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت وفلان إلى جانبك صائم لم تنله منها

---

[173] الإسراء 23.

[174] جامع السعادات ج2 ص263 .

[175] نفس المصدر السابق.

[176] النساء 36.

شـــيئا . وفي رواية أخرى: فكان بعد ذلك يعقوب ينادي مناديه كل غداة ومســـاء من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغداء أو العشاء فليأت إلى يعقوب [177].

إن شـــكاية النبي يعقوب عليه الســـلام من باب مقام الانبســـاط المتقدم ولكن النظر للخلق الإلهي المتمثل في أمرين:

1- جمع ولم شمل الأحبة بعد الفراق حتى ولو كان لم الشمل متوقفا على معجزة إحياء الموتى.

2- مراعاة حق الجوار بحيث أدى التقصـــير في هذا الحق إلى الفراق بين يعقوب ويوســـف عليهما السلام.

الرياء

هو ملكة طلب المنزلة في قلوب الناس بخصـال الخير أو ما يدل على الخير. وأما الرياء الجلي فهو ما يبعث على العمل لولا قصـــد الثواب. وأما الرياء لخفي فهو ما لا يبعثه بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذي أريد به التقرب في الخلوة، ويعرف بالسرور إذا أطلع عليه الناس.

– قال سبحانه: (إِنَّ الْمُنَفِقِينَ يُخَدِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) [178].

من أخلاقه ســبحانه أن يخدع ويضـــل المنافقين المرائين الذين تعلقت قلوبهم بغيره ســبحانه, فإذا ما ذكروا الله فلا يذكرونه إلا ذكرا قليلا بحالة من الكســـل من أجل الظهور أمام الناس. فلو كانوا مؤمنين متعلقة قلوبهم بالله لذكروا الله ذكرا كثيرا.

– قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: إن أخوف ما أخاف عليكم الشـرك الأصـغر . قالوا: وما الشرك الأصغر ؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة للمرائين إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء [179].

من أخلاقه ســبحانه عدم مجازاة المرائين في يوم القيامة باعتبار أن عملهم في الدنيا لم يكن لله مخلصـا وإنما كان للناس, فقد أشـــرك هؤلاء المراءون الناس مع الله تعالى فكان المراءون مشـــركين بالشـــرك الأصـغر. وفي مثل هذه الرواية في الدلالة على عدم قبول عمل المرائي في الآخرة روايات أخر ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

[177] جامع السعادات ج2 ص2634.

[178] النساء 142.

[179] الترغيب والترهيب ج 67 ح 16.

– إن الحفظة تصعد بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع، لها دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك، فيجاوزون به إلى السماء السابعة، فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه, اضربوا به جوارحه، اقفلوا به على قلبه، إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي، إنه أراد بعمله غير الله، إنه أراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن، أمرني أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء، ولا يقبل الله عمل المرائي [180].

– وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السماوات حتى يقطع الحجب كلها إلى الله فيقفون به بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله، قال: فيقول الله تعالى لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه، إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي . فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا، وتقول السماوات كلها على لعنة الله ولعنتنا، وتلعنه السماوات السبع ومن فيهن [181].

الحب والبغض في الله

– قوله تعالى: (تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [182].

من أخلاقه سبحانه أنه أمر المؤمنين به أن لا يوالون ويحبون المخالفين لله ورسوله حتى وإن كان المخالف أبا أو ابنا أو أخا أو عشيرة, فإن التزم المؤمنين بهذا الأمر أعطاهم الله تعالى من فضله ورحمته أمورا خمسة:

1 – أن يكتب الله تعالى في قلوبهم الإيمان.

2– أن يؤيدهم تعالى بروح منه.

3– أن يدخلهم تعالى جنات النعيم.

4– أن يرضى تعالى عنهم ويرضوا عنه.

5– أن يدخلهم تعالى في حزبه وكنفه.

---

[180] إحياء علوم الدين ج3 ح 254.

[181] جامع السعادات ج2 ص291.

[182] المجادلة 22.

– قال سيد الساجدين عليه السلام: (إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين قام مناد فنادى ليسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله ؟ قال: فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: إذهبوا إلى الجنة بغير حساب. قال: فتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين ؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب، فيقولون: أي حزب أنتم من الناس فيقولون نحن المتحابون في الله. قال: فيقولون: وأي شيء كانت أعمالكم ؟ قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله. قال: فيقولون: نعم أجر العالمين) [183].

من أخلاقه سبحانه أن يدخل المتحابين والمتباغضين فيه الجنة بغير حساب.

حقوق الله تعالى

إن حقوق الله تعالى تفترق عن حقوق الناس بنقطة ضعف ونقطة قوة:

– نقطة الضعف: أن حقوق الناس أهون غمطاً وتجاوزاً من حقوق الله سبحانه بسبب وجود الفرق الفارق بين أهمية الله تعالى وبين أهمية الناس, فهنا كلما كان الفرق أهم كان غمطه والتجاوز عليه أصعب وأشد مسؤولية.

– نقطة القوة: أن حقوق الله سبحانه تكون أسهل أداء عن طريق التوبة والإنابة، والله سبحانه غفور رحيم، وسريع الرضا. وهكذا سائر الأخلاق الإلهية التي اقتضت أن يعامل الله سبحانه خلقه بالرحمة التي وسعت كل شيء. بينما أداء حقوق الناس تكون متوقفة على رضاء الطرف الذي قد لا يرضى إلا بصعوبة بحيث يبقى الحق متعلقا غير قابل للأداء على تفصيل موكول للمرحلة اللاحقة.

وفي المقام فان هناك جملة من الأمثلة لحقوق الله سبحانه التي يمكن للعبد أن يغمطها ويتجاوز عليها، وعند ذلك يكون العبد مديناً ويكون الله سبحانه دائناً بالمعنى الأخلاقي، إلا أن الله سبحانه يختلف عن سائر الدائنين من عدة جهات:

1– إن الله سبحانه يحلل دائنيه ويفرغ ذممهم من كثير من ديونه عن طريق العفو والصفح والمغفرة.

2– إن الله سبحانه يصبر على طول مدة الدين, فإن تباطأ الفرد في أداء دينه عفا الله سبحانه عن هذا الفرد على الرغم من أن البطء أو التباطئ عن أداء الدين يعتبر ديناً آخر إلا أن المهم هو أداء الدين, وهذا معنى كون باب التوبة والإنابة مفتوح بشرط أن يكون الفرد حيا في هذه الحياة الدنيا.

3– أن الله تعالى كأنه يعتبر نفسه مديناً بالثواب والجزاء لعبده نتيجة أعمال هذا العبد الصالحة ولكن العبد كان بمنزلة العاجز عن أداء حق ربه سبحانه الذي يقدر على أداء الدين الذي اعتبره على نفسه من إعطاء الثواب الجزيل والجزاء الجميل. ويشهد على ذلك ما ورد في الدعاء: (وأنت

---

[183] بحار الأنوار ج 66 ص 245 ح 1.

الوهاب ثم لما وهبت لنا من المستقرضين). بل العبد بصفته مديناً لله سبحانه فهو لا يستطيع أن يدفع جميع ديونه, بل تبقى نسبة من هذه الديون غير مدفوعة, وذلك لاستحالة أن أن يؤدي العبد لله جميع حقوقه, فيبقى العبد راجياً للمغفرة والتسامح من هذه الجهة في حين أن الله سبحانه بصفته مديناً لعبده بالثواب والجزاء فهو قادر على أدائه، بل الله سبحانه يؤدي هذا الثواب والجزاء بأضعاف مضاعفة لامتناهية, ويشهد على ذلك:

– قوله تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) [184].

أي أن الله سبحانه يعطي بالحسنة عشر أمثالها.

– قوله تعالى: (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) [185].

فهنا الزيادة في العطاء من الثواب والجزاء تكون أشبه بالمعادلة الربوية حيث يعطي المدين أكثر مما أخذ إلا أن هذا العطاء الإلهي يختلف بكون الربح الإضافي إنما هو مدفوع برضا وطيب قلب المدين, وقد شبّه الله تعالى ذلك التعامل في آية أخرى بالتجارة، وأن هذه الزيادة كأنها ربح تجاري يأخذه الفرد من ربه, كما قال تعالى: (تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [186]. أي يكون في هذه التجارة الله تعالى مشترياً ويكون العبد في هذه التجارة بائعاً.

والثالث: أن هناك نماذج من الأمثلة لحقوق الله سبحانه على عبده التي تقتضي أن يقوم الفرد بأداء هذه الحقوق, ومنها حقوق ثمانية:

1– أن يطاع الله تعالى في جميع أوامره ونواهيه سواء الإلزامية منها أم الاستحبابية.

2– زيادة التركيز في الطاعة.

3– الأخذ بالرخصة، كما ورد في بعض الأخبار.

4– أن يشكر الله تعالى على كل نعمة من نعمه.

5– أن يذكر الله تعالى حق ذكره في اللسان والجنان.

6– أن ندرك عظمة وهيبة الله تعالى.

7– أن ننسب نعم الله تعالى إليه دون غيره من المخلوقين.

8– أن ندرك أن الله تعالى رقيبنا في الصغيرة والكبيرة من ذنوبنا ومن جميع أفعالنا.

---

[184] المائدة 160.

[185] ق 35.

[186] الصف 10.

تبديل السيئات بالحسنات

من مظاهر العطاء والعفو الإلهي انه تعالى ليس فقط يغفر ذنوب التائب وانما يبدل سيئاته السابقة بحسنات بل انه يمحي اثر ذلك من قلبه فيجعل فيه القابلية والاستعداد لعمل الصالحات والقربات, ومنه قوله تعالى:

– (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما).

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في هذه الآية قوله: هذه فيكم، إنه يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عزوجل، فيكون هو الذي يلي حسابه... حتى يوقفه على سيئاته كلها، كل ذلك يقول: أعرف، فيقول: سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم، أبدلوها لعبدي حسنات، قال: فترفع صحيفته للناس فيقولون: سبحان الله، أما كانت لهذا العبد سيئة واحدة ؟ !.

– رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما جلس قوم يذكرون الله إلا نادى بهم مناد من السماء: قوموا فقد بدل الله سيئاتكم حسنات وغفر لكم جميعا (3).

– أوحى الله عزوجل إلى داود النبي على نبينا وآله وعليه السلام: يا داود، إن عبدي المؤمن إذا أذنب ذنبا ثم رجع وتاب من ذلك الذنب واستحيى مني عند ذكره غفرت له، وأنسيته الحفظة وأبدلته الحسنة، ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين.

التألي على الله

التألي على الله هو أن يحتم ويوجب العبد شيئا على الله تعالى بان يقول فلان في الجنة، وفلان في النار. ومنه قول رسول الله (صلى الله عليه وآله):

– لا تألوا على الله، فإنه من تألى على الله أكذبه الله.

– ويل للمتألين من امتي، الذين يقولون: فلان في الجنة، وفلان في النار.

– كان رجل يصـلي، فلما سـجد أتاه رجل فوطأ على رقبته، فقال الذي تحته: والله لا يغفر لك الله أبدا، فقال الله عزوجل: تألى عبدي أن لا أغفر لعبدي، فإني قد غفرت له.

– من حتم على الله عزوجل أكذبه.

– إن رجلا قال يوما: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عزوجل: من ذا الذي تألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عمل الثاني بقوله: لا يغفر الله لفلان.

الإرادة والقضاء الإلهي

إن لله تعالى عموما إرادة وقضـــاء وقدرا في تدبير هذا الخلق وتســـيير أموره على نحو لا متناهي من الحكمة والمصـلحة التي تكفلت بإحكام وتناسـق وانتظام جميع ما في هذا العالم, ويشـهد على ذلك قوله تعالى:

– (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما).

– (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين).

– (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

ومنه قوله رسول الله (صلى الله عليه وآله):

– يقول الله عزوجل: ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.

– كما تكونوا يولى عليكم.

– إذا أراد الله بقوم سوء جعل أمرهم إلى مترفيهم.

وقول الإمام علي (عليه السلام):

– فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقيا جرانه ومتبوئا أوطانه.

– فلما رآنا الله صدقا صبرا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر.

ثم ان لله تعالى مما قضاه وقدره خصوصا للمؤمن خيرا كثيرا سواء كان المقضي به فهو خيرا ام كان المقضي به شرا. ومنه قول رسول الله (صلى الله عليه وآله):

– ألا تسألوني مم ضحكت ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: عجبت للمرء المسلم إنه ليس من قضاء يقضيه الله عزوجل له إلا كان خيرا له في عاقبة أمره.

– في كل قضاء الله عزوجل خيرة للمؤمن.

وقول الإمام الصادق (عليه السلام):

– عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عزوجل له قضاء إلا كان خيرا له، وإن قرض بالمقاريض كان خيرا له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيرا له.

– إن فيما ناجى الله به موسى بن عمران أن: يا موسى، ما خلقت خلقا هو أحب إلي من عبدي المؤمن، وإني إنما أبتليه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عبدي، وليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي.

– إن بني إسرائيل أتوا موسى (عليه السلام) فسألوه أن يسأل الله عزوجل أن يمطر السماء عليهم إذا أرادوا ويحبسها إذا أرادوا، فسأل الله عزوجل ذلك لهم، فقال الله عزوجل: ذلك لهم يا موسى، فأخبرهم موسى فحرثوا ولم يتركوا شيئا إلا زرعوه ثم استنزلوا المطر على إرادتهم وحبسوه على إرادتهم، فصارت زروعهم كأنها الجبال والآجام، ثم حصدوا وداسوا وذروا فلم يجدوا شيئا ! فضجوا إلى موسى (عليه السلام) وقالوا: إنما سألناك أن تسأل الله أن يمطر السماء علينا إذا أردنا فأجابنا ثم صيرها علينا ضررا ! فقال: يا رب إن بني إسرائيل ضجوا مما صنعت بهم، فقال: ومم ذاك يا موسى ؟ قال: سألوني أن أسألك أن تمطر السماء إذا أرادوا وتحبسها إذا أرادوا فأجبتهم ثم صيرتها عليهم

ضررا ! فقال: يا موسى، أنا كنت المقدر لبني إسرائيل فلم يرضوا بتقديري فأجبتهم إلى إرادتهم فكان ما رأيت.

وهذا النحو من القضاء والقدر يجري على الإنسان منذ أول خلقته نطفة واستقراره في عالم الأرحام بدلالة بعض الإخبار, ومنه قول:

– رسول الله (صلى الله عليه وآله): يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول: يا رب ماذا ؟ أشقي أم سعيد ؟ أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله فيكتبان ويكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه وأجله.

– الإمام الباقر (عليه السلام): إذا كمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلاقين، فيقولان: يا رب ما تخلق، ذكرا أو انثى ؟ فيؤمران، فيقولان: يا رب شقيا أو سعيدا ؟ فيؤمران، فيقولان: يا رب ما أجله وما رزقه ؟ وكل شئ من حاله وعدد من ذلك أشياء، ويكتبان الميثاق بين عينيه.

ثم إن العبد إذا لم يرض بمشيئة الله تعالى وقضائه وقدره فليلتمس أو يطلب ربا أو الها غيره تعالى, كما ورد عن الله تعالى في بعض الأحاديث القدسية المنقولة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله), ومنها قوله:

– من لم يرض بقضائي ولم يؤمن بقدري فليلتمس إلها غيري.

– من لم يرض بقضائي وقدري فليلتمس ربا غيري.

– من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليلتمس ربا سواي.

– من لم يرض بقضائي ولم يشكر لنعمائي ولم يصبر على بلائي فليتخذ ربا سواي.

فيكون حال هذا المعترض والساخط على المشيئة والقضاء والقدر الإلهي الوبال والخسران وجهنم ذات النيران, كما ورد ذلك في أقوال أمير المؤمنين عليه السلام, ومنها:

– أشد الناس عذابا يوم القيامة المتسخط لقضاء الله.

– من أصبح على الدنيا حزينا فقد أصبح لقضاء الله ساخطا.

– ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لالائه.

– وصايا الله

وصايا الله تعالى للإنسان, ومنها قوله تعالى:

– (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب).

– (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا).

– (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون).

– (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير).

– (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم... ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون).

– (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون).

– (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون).

وصايا الله تعالى لموسى عليه السلام, ومنها قول الإمام علي (عليه السلام):

– قال الله تبارك وتعالى لموسى (عليه السلام): يا موسى احفظ وصيتي لك بأربعة أشياء: أولهن: مادمت لا ترى ذنوبك تغفر فلا تشـــتغل بعيوب غيرك، والثانية: مادمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتم بسبب رزقك، والثالثة: مادمت لا ترى زوال ملكي فلا ترج أحدا غيري، والرابعة: مادمت لا ترى الشيطان ميتا فلا تأمن مكره.

– أوصيك يا موسى أوصيك وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم صاحب الأتان والبرنس والزيت والزيتون والمحراب، ومن بعده بصـــاحب الجمل الأحمر اسمه أحمد ومحمد الأمين من الباقين.

وصايا الله تعالى لعيسى عليه السلام, ومنها قوله تعالى:

– (وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا).

– يا عيسى أوصيك وصية المتحنن عليك بالرحمة حتى حقت لك مني الولاية بتحريك مني المسرة، فبوركت كبيرا وبوركت صغيرا حيث ما كنت، أشهد أنك عبدي من أمتي، تقرب إلي بالنوافل وتوكل علي أكفك، ولا تول غيري فأخذلك. ثم أوصيك يا بن مريم البكر البتول بسيد المرسلين وحبيبي أحمد صاحب الجمل الأحمر والوجه الأزهر.

وصايا الله تعالى لمحمد (صلى الله عليه وآله), ومنها قوله عليه وآله السلام: أوصاني ربي بتسع: أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكرا، ومنطقي ذكرا، ونظري عبرا.